قصيدة للشاعر العراقي
مظفر النواب

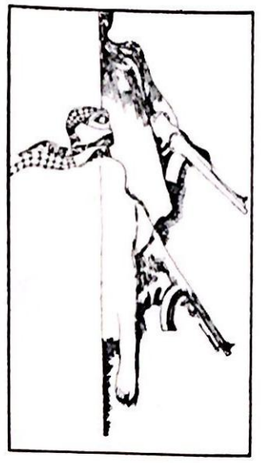

يا موجعا رثة .. بما استندت صدرك
للبنادق والسراي
لا يزعجنك انه ليل تكعب ..
واستعرتك الضواري
خوض .. فعبلك خوض الاجداد
في دمهم
لتسلم رملة عجفاء باسمة اللهاة
تسف في عطش الصحارى
واقحم .. فان لم تقتحم سيخيفك
المخوفون
بان اشباحا هنالك في الضباب
وان اشباحا هنالك في الغبار
اكذوبة .. اتخاف يا قحط بن جذاب
ان تموت وانت عار !
وبان يوما شائكا سيريد حرحا
بالمحيم والرنيت من الطمار
سم الصغار خناجرا .. موتا
.. سكاكينا ..
وعلمهم سكاكينا .. وكتبهم
سكاكينا .. وخليهم يصلون
العشية فوق سكين
واذن بالخناجر في النهار .
ما عالم هذا .. ولكن قربة سموه عالم
انه ماخورة شماء في عز الزنا
ودم وامعاء وآبات على هذا
الجدار وذا الجدار
احمل سلاحك .. لا اقول نبوءة
ان الكبار تفاهموا
لكن اقول نبوءة انا وضعنا اول
الاسماء في الذبحى بقائمة
الصغار
انى تكن فانسف .. فان بقائنا
رهن بفلسفة الخراب
ولا يخفك مغادر صف الخراب ،
فمعدن يصفو وشائبة تذوب
بلفح نار
سم الصغار قنابلا يدوية
قدسا .. سكاكينا .. وعلق
فوق مهد الطفل سكينا
وخليهم يصلون العشي على
سكاكين
واذن باسمك اللهم يا سكين
نرجع للديار
نثت على دمن « الكرامة » مرة
فتنفس الصعداء كوز باس هجر
وبالبريقة ابريق شاى ثقبته
رصاصة
وتناقضت مكاءة بين الحرائب
والحجار
واهتاجني نعج التراب ..
فقلت يا برقا على الاغوار اني
سامع أصواتهم جشاء كالصبيح
خافتة
والمح شاربا زغبا ، وقبرة ،
وشارات انتظار
وعبرت تمسكني المقابر
ان احدثها عن الاحباب في
ام القرى
وعن البيوت ، عن المقاهي
والجوامع والحواري
ويكاد قبر ان يقوم ويرتجيني ..
ان يشد لصدره رشاشتي
ويمسح الوغشاء بالاكفان عنها في
حنان وانهيار
ويكاد يلتصق الفراش البرتقالي
الحزين بلحيتي ..
وانا اجوز برهبة ـ .. قبرا
جماعيا شديد الازورار
ويصيح بي جدث فتي ، لم يزل
غضا ويطرف بين عينيه الندى :
علي ما يزال مخندقا في الغور
ينتظر الاشارة والصواري
هون ابا الهيجاء .. لقد رحل
المسكر لاجئا كالاجئين
وانت تنتظر الاشارة والصواري
هذا هو الفصل الاخير .. سيخلع
المقنعون قناعهم
ويرى الدين وراء كالوس الدعارة
يمسكون الكيس في كف ، وفي
شعارات اليسار
ولسوف تنقسم الامور لغير هذي
الانقسامات الشبيهة ببعضها
ويجيء يوم لا ينام على انتظار .
يا جائعا .. ليس الليلة ان تجوع
وان تجوع ، وان تجوع
وان تشد على المعي صوم الحجار
وبأن ترى عينيك جاحظة
كصحن الجائعين
يزيدها كلما وجوم صارم كالانتحار
ان الليلة ان ترى
مشاقلا متناعس العينين
اتخم بطنك
المتفاهمون مع القوادات
الكبيرة والجواري
اقسمت باسمك يا عراق
بان احاربك اينما وجد
المحاربو او اموت محاربا
وحدي على كل الشفار
عرق بهاتيك الجزيرة
عضني سجن العراق فما
استطاع ، وحاولتني كل
ريح ان احاري .
يوم انتميت الى الرحى من قطبها
ووجدتها بيد تدار .. رفصت
طاحنه تداري
حر لوجه الريح لا الوى ولا خدع
السراب تفحمي ولوى مساري
يا نخل اهلي بالعراق .. اشم رائحة
العراق على الغبار
يا نخل اهلي ..
شاقني نعو النعاح
وشرب ماء الله بالطلع العبوق
من النهار
يا نخل اهلي
لم اذق ماء كذاك الماء عافية
يشف عن الدقيق من السرار
يا نخل اهلي بالحشي
اعد لوجهي خضرة السعف
الحنون
على الجني من الثمار
قلبي خبيء بالعراق
برغم ما قد مات من جسدي
على كل الموانيء والبحار
وطني .. اذا البحار لم يهلك على
صدر السفن
تحديا للبحر والميناء لا
تقم الصواري
سم الصغار خناجرا ، موتا ، سكاكينا
وعلمهم سكاكينا ، وخليهم
يصلون العشي على سكاكين
وكبر بالخناجر في النهار ■■

مجلات

صدر العدد الثالث من « صوت الطليعة » المجلة الفصلية التقدمية التي تعنى بشؤون النضال التحرري في الجزيرة العربية ... وفي هذا العدد كما في العددين الاول والثاني ـ تواصل المجلة نشر التحقيقات والدراسات التي تكشف طبيعة النظام الرجعي السعودي وارتباطاته بالامبريالية ودوره في خدمة مخططاتها .

ويشتمل العدد على :

١ ـ مقال افتتاحي تحليلي حول شعارات « التضامن العربي » التي يرفعها الحكم السعودي هذه الايام ، ليغطي بها جوهر سياسته التآمرية على كل ظواهر النهوض للقوى الوطنية والتقدمية العربية اينما وجدت .

٢ ـ الحلقة الثالثة من الدراسة التاريخية حول « دعائم النظام السعودي وما طرا عليها » .

٣ ـ دراسة في تكوين السلطة السعودية تتناول في هذا العدد « مجلس الوزراء » .

٤ ـ فصل جديد من دراسة للسياسة السعودية وتآمرها على القضية العربية ، ويتناول هذا الفصل موضوعة « الحلف الاسلامي » .

٥ ـ الفصل الثاني من تاريخ « العلاقات السعودية البريطانية » بالاضافة الى موضوعات متفرقة اخرى ، تتناول بمجملها عملية الصراع الثوري بين جماهير الجزيرة العربية وبين النظام الرجعي السعودي حامي مصالح الامبريالية في الجزيرة ومنفذ سياساتها على الصعيد العربي كله .

من إنتاج الرفاق

خروف السيد المدير

قصة قصيرة بقلم : سمير الاسمر

كان مركز الشرطة يضيق بالناس . ناس واقفة ، ناس مقرفصة على الارض ، وناس ... حالفها الحظ ، فوجدت مكان تجلس فيه على المصطبات الخشبية المنتشرة عبر الممر الضيق. الدنيا عز الحر ، ورائحة العرق تفوح معبقة المكان . صراخ الحارس وهو يامر هذا وذاك بالانتظار ، وينادي على هذا وذاك ليدخلوا غرفة المامور .. يضيع بين النقاش الحاد والاحاديث المتعددة التي يتبادلها « زوار » المركز . وحرك «اصابعنا» رجليه ليمشي فيها الدم ، وهو ثابت في مكانه ، محشور بين الرجال الاخرين على مصطبة الخشب . انه ينتظر منذ الصبح ولحد الان لم ينادوا عليه . كل ما يجي واحد يدخلوه ، وهو يبقى ينتظر . حتى الشرطي الذي يرافقه زهق ، ولكن لا حول ولا قوة له في الموضوع .

رفع يداه القيدة ليمسح قطرات العرق التي سالت حول ذقنه .. لكنها كانت تعود بعد قليل ، لتسيل من جديد .. كانت تتبلور فوق جبينه ، كقطرات الندى فوق اوراق الاشجار في الفجر المبكر ، ثم تتجمع عبر اخاديد جبينه لتنساب فوق حاجبيه وحول عينيه ، ثم تنزلق بسرعة فوق خده مرهجرى متصل ضيق يصب عند ذقنه . لقد نفد صبره وهو يمسحها بلا فائدة .. فقرر ان يتركها لتغفر فوق حضنه ، بين فخذيه . ولم ولم يخف تعجبه ، فتساءل بين نفسه « والله غريبة يا عالم . مش عم يشرب الواحد يادوب نص كاسة مي في اليوم ومنين بيجي هالعرق هادا ؟! »

الوقت يقارب الظهر ، وكان يعرف ماذا سيجري له . كالعادة .. فمنذ يومين وهو يعاني من نفس الحالة . يجلبوه من الموقف الى المركز يبقى ينتظر الصبح كله وعند الظهر يخبره الحارس بان السيد المامور لن يتمكن من رؤيته . فيعود مع مرافقه الشرطي الى الموقف من جديد . ويرجع بعد الظهر لينتظر حتى يامره الحارس بالرجوع مرة اخرى .

كان يفكر بحالته المزرية هذه عندما اقترب الحارس ونادى على مرافقه ليخبره فعلا ، بان لا وقت للمامور الان للنظر في قضية المتهم .. متهم .. انا متهم الان يا ناس ! هز راسه بحيرة : متهم !

لم يفهم بالضبط كيف يقولون انه مجرم. وان ما فعله كان ، كما قال المامور : جريمة لا انسانية ، فظيعة .

ـ كيف تقتل ـ يا زلت انت ـ حيوان بريء .. لطيف ، لم يؤذيك .. ولم يعتد عليك . كيف تقتله من اجل جرعة ماء ! لعنة الله عليك ما في بقلبك شفقة ولا رحمة . لو تشوف اولاد المدير شو عاملين مناحة في البيت ، لكان تقطع قلبك عليهم . لكن واحد زيك اكيد ما عندو قلب .. بتحرم هالصغار الملاكة هدول من خروفهم عشان كباية مي .

لفو عل البشر اللي زيك .. يا .. مجرم .

ومشى بجر رجليه خلف الشرطي المرافق له ، وهما يعبران الكتل البشرية المتزاحمة في الممرات الضيقة ، ليعود الى الغرفة المظلمة .. الفعلة . في انتظار فرصة جديدة . علّه يكون محظوظا ، هذه المرة ، ويقابل المامور . وارتمى فوق بطانيه على الارض . والتعب يلون بريشته تجاعيد وجهه المائل .

انه لم يعد يفهم العالم الذي يعيش فيه ، انه لا يفهم منطق هذا البشر . من ؟ سيحاكم المامور اذا مات ابنه من العطش .. من ؟

التفت الى مرافقه الشرطي قبل ان يقفل وراءه الباب وقال بالم : والله ما قصدت قتله .. كنت بدي ابعده عن الي .. والله!

ومال براسه ليسندها على الحائط الرطب خلفه .. وتذكر كيف عاد تلك الليلة المشؤومة من عمله .. متعب كالعادة .. سار في ازقة المخيم الى غرفة « الزينكو » حيث يعيش مع زوجته واطفاله الثلاث . دفع الباب امامه ، وصريره ، كزعيق البوم ، يمزق سكون الليل.

جال بعينيه في ارجاء الغرفة يلقي نظرة على الصغار النائمين . وسال : « كيف حاله اليوم » ، واشار الى اصغر الاولاد ، النائم فوق حصيرة في احدى اركان « البيت !! » شلتاه ناشفة من العطش .

انه مريض منذ اكثر من اسبوعين . لم يفهم لا هو ولا زوجته علة الصغير . كل ما استوعبه من الدكتور ان ابنه يعاني من «شيء» اسمه غريب لا يذكره ، يجعل جسمه ودمه ينشف وهو بحاجة الى ماء .. ماء كثير ، يجب ان يشرب حوالي لترين كل يوم .. واكله لازم يكون سوائل . الدكتور قال هيك .

فرفعت زوجته عيناها عن الولد ، واجابت: يعني كيف بدها تكون حالته . ما في مي .. وطول العصر وهو يطلب مي . جارتنا جابت هالطاسة ، استغنوا عنها . لكن ما بتكفيه .

ـ والعشا .. شو عشيتيه ؟

قصمت وكانها تريد ان تخفي جريمة ما ، وعادت لتقول بلهجة المعترف بالذنب : شقفة جبنة وزعتر .

ـ زعتر وجبنة ! كيف يا مره .. انجنيتي! هذا بيعشوه اكتر ـ الدكتور قال سوائل.. سوائل .. منين .. اللحام اليوم لم يعطيها العظام حتى تعمل شوربة .. حجزتهم مرة الخواجا للكلب . وهي تدفع .. اما نحن..!؟

واحس بالدنيا تضيق في عينيه فدفع الباب برجله وخرج ليضمه الليل في ساحة المخيم. على رطوبة الليل تخفف من فليسان دمه . واحس بيدي زوجته تحتضنه من الخلفوهي تقول :

ـ بسيطة يا رجال .. بكرة بيفرجها ربك.

ـ اسكتي يا شيخة . لساتك بهالعقل.. كيف بدو يفرجها .. قولي كيف ؟!

وشدته الى صدرها ، فاحست بقميصه الملتصق على جسده .. مبلل بالعرق .. فنست تحت تاثير شعورها العاطفي في تلك اللحظة ، انهم لا يملكون الكفاية من الماء ليغسل زوجها جسمه المتعب .. فقالت بصوت حنون : ابل البشكير شوية مي لتسمح عرقك .. وبحتك بتقتل يا شيخ .

فنظر اليها باستغراب ثم قال : حرام عليك خللي الي للصغير . نموت من الريحة ولابموت هو من العطش .

امسك بيدها وقادها الى جوار الحائط . جلس على الارض وشدها الى جانبه ، فجلست بارتخاء ، واسندت راسها برقة على كتفه .. مثل ايام زمان .. لما كنا عرسان . لا اولاد ولا مشاكل .. اذكر كنا نجلس في البيادر تحت الشجرة . كنت تكلمني من التاجر الذي اراد ان يكسب على ظهرك ، ويشتري البرتقال بافل من سعر السوق . لم تكن تشعر بالجوع .. ولا بالعطش .. الحب كان يملا حياتنا . كان ينسينا العطش والجوع .. لكن الان ..! تعتم بصوت حالم ولقد اثارته تلك الذكريات : ولا زال .. لكن الاولاد .. لا يمكنهم ان ينسوا انهم عطشى وجوعانين .. لا تنسي انتا لسنا وحدنا الان .. واليوم ليس مثل الامس .

ماء .. ماء .. ماء .. ماء .. فانصت بانتباه .. هناك مخلوق اخر ينادي على الماء : ماء .. ماء .. ماء .. ماء .. وللحظات بقي يسمع الصوت الاجش ، قبل ان ينتبه الى مصدره .

ـ اليس هذا صوت خروف المدير ؟

ـ نعم .

وعاد ليقول : واليس هناك قدر كبير امامه عليه بالماء دائما .

ـ ماذا تقصد ؟ ماذا ستفعل ؟ لا تكون مجنونا . لا تريد مشاكل جديدة مع هالجماعة

قالتها وهي تشده ليبقى جالسا . كانت وكانها تقرا افكاره .

نهض بتصميم . وقال : ساعود بعد قليل. لم يكن يريد قتل الخروف المسكين . كل ما اراده ان ياخذ قليل من الماء لابنه المريض.. لكن ماذا يفعل اذا ابى الخروف ان يرفع رجله من الاناء . بقي مصمم على وضعها هناك .

ـ حر يا اخي .. مزاجه ياخذ حمام مي لرجليه . تعبان .. طول النهار واقف وبدو يريح رجليه .. شو دخلك فيه .

ـ لكن كيف مات ؟ كل ما فعلته اني تناولت العصا وضربته ليبتعد قليلا . اطرية راسه لهذه الدرجة ؟

فصاح احدهم : طبعا ! اكل الخضرة وشرب الماء ، والغز ، يا ابو الشباب ، بيقوي الرؤوس !

لم يدر ما الذي فعله ، الا عندما جاءت الشرطة ومدير المخيم الى داره ، فجر اليوم التالي .. فضحه القدر الكبير الذي تركه في الباب .. ملوث بالدم ..

وها هو الان مرمي في « النظارة » ينتظر الفرج .. ومقابلة المامور ! انه الان مجرم .. ارتكب جريمة بحق الانسانية .. قتل متعمد مع سبق الاصرار . لماذا لم يسمعوه عندما جاء يشتكي على « بستنجي » السيد المدير قبل اسبوع . ظل يضرب البنت بالعصا حتى عطلها . لحد الان وهي تعرج .. لماذا ؟ قالوا له ـ وقتها ـ شو بدك بعمل يعني يشوفها بترتق وبسكت .. فور من هون .. ما عندنا وقت نضيعه معك !!

ترتق .. هاالطفل يعرف السرقة وماذا تعني ؟! كانت تلعب مع بقية اطفال المخيم قرب سور بيت السيد المدير فرات الخروف المحترم .. النظيف دائما .. فالدنيا حر ولازم له حمام في الصبح وحمام في العصر .

ـ الرفق بالحيوان هيك بدوا . والاولاد بدهم يلعبوا ويتسلوا .. ليش جنسانهم الخروف ؟!

المسكينة ، البنت شافت قدر الماء امام الخروف . السابع هو الاخر ، في بركة ماء من حوله . قدست جسدها الصغير بين اسلاك السور ، وراحت تشرب شوية مي .. كفرت يعني ! وتذكرت ان الدكتور قال لازم اخوها يشرب مي كتير .. فقصت ، بيراوة ، كفيها وغرفت شوية مي لتحملها له . كانت تزق، بحرص شديد ، جسدها عبر الاسلاك لئلا ينسكب الماء من يديها، عندما راها البستنجي فركض وراءها ، ونهال على قفاها ضربا بالعصا :

ـ يا كلبة .. يا ملعونة ، يا سرافة .. يا حرامية . شكوت الامر للمدير .. لكن كان علي ان اعتذر عن فعلتها .. فانا اباها، وولي امرها.. هالسرافة .

دنيا غريبة .. يا عالم .. لم اعد افهم منها شيء . وصر الفتاح في الباب ، واطل الشرطي ليامره بالنهوض . عليه ان يذهب لمقابلة المامور الان . ونهض بتثاقل .. يجر جسده المتعب .

ارتمى على المقعد ، امام السيد المامور ليجيب على اسئلته . فالتحقيق يجب ان ياخذ مجراه .

ـ الدنيا مش سايبة .. في قانون .. في حكومة . القاتل ياخذ جزاه .. والمجرم لازم يعاقب !

وخرج من عند المامور بعد ان وقع كفالة ليمثل امام المحكمة عندما يبلغ بالموعد . لقد انتهى التحقيق . جريمته صنفت كجناية .. قتل متعمد مع سبق الاصرار .

وسار شارد الذهن.. كلمات السيد المامور ترن في اذنه : « وحتى لو لم تقتله ، انجرؤ يا قاسي القلب ، على ترك الخروف المسكين بدون ماء ليموت من العطش » .

ـ لكن الخروف ـ سيدي ـ عمره ما كان يعرف العطش . الماء حواليه دائما عامل بركه. قدر الماء الكبير امامه ليل نهار .. وحمام الصبح وحمام العصر .

شيء واحد كان يحيره .. لماذا كان الخروف يصرخ طول المساء ، عند عودة البيك المدير : ماء .. ماء .. ماء .. ماء .. والماء امامه ؟ وبعد لحظات تفكر ، انفردت اساريره لقد وجد تفسير اللغز : اكيد كان يصرخ : شو هالقرف كل يوم ماء .. ماء .. ماء .. ماء ، اي ما في شيء اخر .. والله معاه حق .

الدنيا حر ولازم الواحد ينوع المشروب حتى يطفي هالحر الملعون . فعادت صحة الشعور بالذنب والحزن ترتسم على وجهه . لقد شعر الان فقط بفظاعة ما ارتكب . انه فعلا مجرم. لقد قتل كائن حي ، كان ـ مثله ـ يحتج على سوء المعاملة .. عفوك يا جناب الخروف .. لقد انتقصت عمرك وبنفسك شربة كازوزة ، او عصير ليمون . ■■

سمير الاسمر
مدريد ١٩٧٣/٨/١٥